نحـــــو ترجمـــة عربيّة تأصيـــليّة

Vers une traduction arabe authentifiée

أ . زينب بن هلال *

تاريخ الاستلام: 2019/11/19
تاريخ القبـــول: 2020/09/04

ملخّص: يروم هذا البحث العمل على وضع مخطّط عملي لحركة التّرجمة من اللّغات الأجنبيّة إلى اللّغة العربيّة باعتبارها لغة وطنيّة ومقوما من مقومات الهويّة الثّقافيّة والاجتماعيّة في ظل التّأصيل التّرجمي، ذلك أن الواقع العالمي اليوم يفرض هيمنة لغويّة نتجت عن الهيمنة السّياسيّة والاقتصاديّة التّي تفرضها الموازين العالميّة. ونظرا لضرورة الاحتكاك اللّساني والتّفاعل الثّقافي الحاصل والذّي تجسدّه التّرجمة بوصفها وسيطا لغويا بين الحضارات، فإنّ دورها لم يعد يقتصر على النّقل فقط، بل تعدّاه إلى كونه مؤثرا ثقافيا فاعلا في استقرار اللّغة وشيوعها أو تراجع استعمالها واندثارها بمرور الوقت.

كلمات مفتاحيّة: اللّغة العربيّة–التّرجمة – التّغريب- التّوطين – التّأصيل – المثاقفة

Résumé : Cette recherche vise à élaborer un modèle pratique de la traduction de langues étrangères à l'arabe en tant que langue nationale et l'une des composantes [†]de l'identité culturelle et sociale, car la réalité mondiale actuelle impose une hégémonie linguistique qui représente l'hégémonie politique et économique.

Par conséquent, le rôle de traduction n'est plus limité à la transposition linguistique, mais aussi à une influence culturelle effective sur la stabilité et la prédominance de la langue arabe.

Mots clés :

La langue arabe-la traduction-l 'étrangéisation-la domestication-l acculturation

* معهد الترجمة ، جامعة احمد بن بلة وهران، الجزائر
zaineb.benhlal@gmail.com (المؤلّف المرسل)

مقدمة: لم تنفكّ التّرجمة باعتبارها وسيطا لسانيّا وثقافيا تتأرجح منذ القدم بين مقاربات وإيديولوجيات عدّة تشتغل كلّ منها على أساس منطلقات ومقاصد مختلفة، وتنتهج في اشتغالها ذاك مناهج متباعدة ومتوالجة أحيانا تذهب في مجملها إلى تيّارين اثنين، فإمّا أن يتمّ تغريب التّرجمات بغرض استقبال الآخر وتبنّيه والتّمازج معه تأكيدا على الانفتاح الحضاريّ العالميّ، كما هو الحال مع اللّغة الإنجليزيّة خاصّة باعتبار التّبعيّة السّيّاسيّة والاقتصاديّة والعلميّة المؤثّرة في العالم أجمع، وإمّا بمحاولات التّوطين قصد الحفاظ على الهويّات الوطنيّة وعدم المساس بمقوّماتها بوصف اللّغة واحدة من أهمّ سمات الهويّة الاجتماعيّة والثّقافيّة.

غير أنّ الملاحِظ لواقع اللّغة العربيّة اليوم النّاتج عن واقع البلاد العربيّة التّي تعاني من التّبعيّة الثّقافيّة الحاصلة طوعا أو كرها، وفي ظل ميل موازين القوى اللّغويّة لصالح اللّغات الأجنبيّة ميلا شديدا، فإن التّرجمة اليوم صارت سلاحا ثقافيا قبل أن تكون وسيطا لغويا، لذلك جاءت نظريات التّرجمة ما بعد الكولونياليّة جميعا لتصبّ في هذا المصبّ، إذ صارت عمليّة التّرجمة إجراء إيديولوجيا موجّها تحكمه تلك الإكراهات الثّقافيّة التّي زادت من صعوبة الممارسة التّرجميّة منهجا وإجراء، الأمر الذّي جعل من التّرجمة تهديدا حقيقيّا على وجود اللّغات الوطنيّة وتجذّرها واستقرارها قبل تطوّرها ذلك أنّ تقبّل الوافد الغريب على اختلاف ثقافته ومرجعيّاته الحضاريّة، والتّي تحمل في أحايين كثيرة تباينا عقديا ومعرفيا كبيرا، لا يمكن أن يكون عديم التّأثير على اللّغة العربيّة باعتبارها لغة هدفا والمتلقي العربي باعتباره قارئا مستهدَفا ولذلك فإنّ السّعي إلى البحث في سبل تقبّل الآخر وثقافته قبل لغته تقبّلا لا يمسّ بالمقوّمات الوطنيّة بات أمرا من اللّازم الغوص فيه، إذ يبدو جليّا أنّ تأصيل التّرجمة في هذه الحال ومحاولة التّأسيس لاستراتيجيّة ترجميّة تضمن للغة العربيّة الاستقرار والشّيوع ومواكبة التّطور التّكنلوجي الحاصل ، ذلك أن حركة التّرجمة إلى لغة ما تقوّي لا ريب استثمارها فيما بعد في العلوم جميعا، ومن ثمّة جاءت إشكاليّة البحث كالآتي:

ما هي سبل التّأصيل لترجمة هدفها توطين اللّغة العربيّة والنّهوض بها قدما؟

1. **اللّغة والهويّة الثّقافيّة والتّرجمة:** تعدّ اللّغة لا ريب رمزا ثقافيّا بامتياز، إذ تمثّل مظهرا من مظاهر الهويّة الثّقافيّة للجماعات العديدة المتواجدة والمرتبطة فيما بينها قانونا وعرفا وتاريخا مشتركا، وإنّ الإنسان بوصفه كيانا اجتماعيا ناطقا لا يفتأ يعبِّر عن تلك الهويّة عن طريق الفعل الحقيقي والملموس لها، والمتمثِّل في اللّغة بوصفها أداة تواصلٍ وتفاعلٍ بين الأنا والآخر، هذه الأداة التّواصليّة التّي تسمح لا محالة بربط أواصر العلاقات الإنسانيّة سواء في الجماعة الواحدة أم بين الجماعات والشّعوب

عموما، وتؤكد ذلك (كلير كرامش) بقولها : " اللّغة هي الوسيلة الرّئيسيّة التّي ندير بها حياتنا الاجتماعيّة، وعندما تستخدم اللّغة في سياقات التّواصل تتعّقد الصّلة بينها وبين الثّقافة في نواح كثيرة متشابكة." [1] ومن ثمّة فإنّ اللّغة تمثّل لا ريب مظهرا من المظاهر الذّي تُبنى بفضله كاريزما الجماعة، كما أنها تشكّل مرآة نشاطاتها الكثيرة في الواقع الحضاري المعيش.

ولّما كان الأمر كذلك، فإننا لم نفتأ أن نجد نواميس الحضارات تجعل منها عمودا من أعمدة الهويّة الوطنيّة، ورمزا له من الهيبة والتّبجيل ما له، كما نجدها تعتمد عليها اعتماد المتوكّل الواثق في إرساء ما أرادت بلوغه من أهداف ومرامي، وإنّ المدرك لهذه الحقيقة يعلم بالغ العلم أنّ اللّغة في حاضر العصور أو قديمها كانت ولا تزال من أهمّ الأسلحة الفعّالة في التّأثير على جوانب الحياة جميعا التّواصليّة منها أو المعرفيّة، واجتلاب أو اجتناب المقاصد، ولعلّنا نرى في انتحار الكاتب والصّحفي الهاييتي (ادمون لافوراست) (Edmond LAFOREST) مثالا حيّا عن ذلك الوعي بأهميّة اللّغة وخطرها في الآن ذاته، إذ انتحر هذا الكاتب عن عمر يناهز 39 سنة موثقا قاموس "لاروس الفرنسي" في عنقه، مشيرا بذلك إلى ارتباطه الرّوحي بلغته الأم الفرنسيّة، ورافضا بذلك كل أنواع الاستعمار (الأمريكي آنذاك) والذّي تبنّى سياسة الاحتلال اللّغوي قبل العسكري. كما نعثر في جماعة السّيخ في بريطانيا على مشهدٍ آخر عن الوعي بأهميّة اللّغة باعتبارها نقطة جوهريّة في الهويّة الثّقافيّة فحين أحسّت هذه الجماعة بالتّهديد بعدم الاعتراف بحقوقهم الثّقافيّة والدّينيّة، ورفض مظاهرهما جميعا، قامت تدعو أفرادها إلى دعم هويتهم الثّقافيّة بتشجيع تدريس اللّغة البنجابيّة وقصر الزّواج على أفرادها فيما بينهم مواجهة لتلك التّهديدات. [2]

ولئن كانت اللّغةُ لسانَ التّواصل بين الأفراد فإنّ التّرجمةَ لسانُ التّواصل بين الثّقافات. إذ لا يمكن للجماعة العيش في معزل عن الثّقافات المجاورة لها أو حتّى البعيدة عنها، بل إنّ الاختلاط والاحتكاك بها أمر مطلوب بغيّة الاستنفاع، ولنا في الآيّة الكريمة خير دليل، إذ يقول ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾ (الحجرات 13)

ومن ثمّة بات على المجتمعات أن تسعى إلى ذلك التّعارف المنشود، من أجل تبادل الخبرات والمنفعة ثم إنّ التّطور التّكنولوجي الحديث جعل من العالم قريّة صغيرة صار التّواصل فيها أسهل من أيّ أمر آخر. وبغضّ النّظر عمّا خلّفه هذا التّواصل من محمود الأثر أو مذمومه، فإنّ الاحتكاك اللّغوي والحضاري ما عاد بالإمكان التّحكّم فيه إطلاقا، بل لم يبق على العاملين عليه إلاّ محاولات جريئة لتوجيهه إلى ما ينفع النّاس واقعا، بما يتمشى ومتطلبّات العصر ومظاهره لغويّة كانت أم ثقافيّة.

ولئن أصبح الاحتكاك اللّغوي بين الحضارات أمرا واقعا منطقا، فإنّ حصول المثاقفة بين تلك

الحضارات أضحى أمرا واقعا وفاعلا، إمّا طوعا أو قسرا، وكان وجوب التّوجّه نحو الاهتمام بالتّرجمة أمرا لا مناصّ منه، كيف لا وهي أداة التّعبير عن ذلك الانتماء الحضاري، وليست مكانة التّرجمة ههنا أن تتطاول تهافتا وطلبا للشأن، وإنمّا تتبوّأ مقامها منذ أمد بعيد حين احتاج النّاس للتواصل والتّفاهم، وبعيدا عن أسطورة بابل وبلبلة الالسّنة، فإنّ التّرجمة لم تزل تأخذ دورا حضاريا أساسيّا في النّهوض بمستوى العلوم المعرفيّة أو انحطاطها، ولعلّ المتتبّع لتطورّ حركتها عبر العصور يلحظ ما قدّمه العصر العباسي للأمّة العربيّة والإسلاميّة من ترف معرفي، وزخم مكتبي، كان الفضل الأوّل فيه يعود إلى انطلاق حركة التّرجمة وازدهارها، إذ أسهم نقل الكتب في العلوم جميعا جزيل الإسهام في بثّ روح البحث العلمي، وأُلِّفت في ذلك العصر مئات من أمّهات الكتب في مجالات شتى، لا يزال صداها ينشر شعاعه حتى يومنا هذا، لذلك فإنّ القول بمعاودة بعث تلك الحركيّة من جديد لن يكون من نافلة القول، بل نحسبه القولَ كلّه، لاسيّما مع ما تشهده الأقطار العربيّة والمسلمة اليوم من تبعيّة اقتصاديّة، جرّتها إلى تبعيّة معرفيّة شملت المصادر، ولامست المناهج، وأثّرت على النّتائج، فلم يعد لهذه الأقطار شدّة تأثير معرفي، ولا شعاع علمي يلوح في أفقها أو أفق غيرها من الحضارات، لذلك فإنّ التّسليم بأنّ ازدهارَ التّرجمة مظهر من مظاهر الرّقيّ الثّقافي والحضاري أمر غير مبالغ فيه البتّة، بل نعدّه أمرا الملح، وحاجة ماسّة تنبثق من الوعيٍ بأهميّة اللّغة، وإدراكٍ لحجم تأثيرها.

2. تغريب التّرجمة سبيلا إلى عولمة اللّغات

ولئن كانت التّرجمة مظهرا ثقافيا حيّا لأمّة بعينها، يعكس واقعها الرّاهن ويتحرّك ضمن أنساقها اللّغويّة والاجتماعيّة والثّقافيّة، فإنّه لا شكّ قادر على أن يكون إمّا مؤثرّا أو متأثّرا بما يحيط بتلك الأمة من ظروف اقتصاديّة واجتماعيّة وغيرها من الفواعل المحرِّكة، لذلك فإنّ الحديث عن موضوعيّة الممارسة التّرجميّة وحيّادها صارا أمرا لا يمرّ على السّامع إلاّ على مضض، ذلك أنّ النّاظر في حركات التّرجمة المعاصرة يلحظ انحيازا إلى عولمة اللّغات بدعوى التّفتح على الغريب، والتّلاقح معه وقبوله على ما هو عليه باعتباره "آخر" وهذا ما يؤكده الفيلسوف والمترجم الفرنسي (أنطوان برمان) (Antoine BERMAN) بقوله: " في جوهرها التّرجمة انفتاح وحوار وتمازج ." [3]

إنّ اللّغة كما يراها (برمان) هي لغةٌ حاملةٌ لمعناها في ذاتها، وإنمّا جُعِل اللّفظ في محلّه لأنّه المقصود المعني، والدّليل اللّساني الكافي، وإلا ما وضع أصلا، لذلك وجب على التّرجمة نقل اللّغات الأخرى كما هي مع الحفاظ على أيّ غرابة أو خصوصيّة ثقافيّة أو دينيّة قادمة على سبيل الأمانة والانفتاح، فينتقل المعنى آليّا معها وأيّ تحريف يوقعه المترجم ما هو إلا تزييف وخيانة للأصل من جهة، وكذب على القارئ الهدف وتغليط له من جهة أخرى. ويرى (برمان)

أنّ الإبقاء على الغريب في التّرجمة يذهب في اتجاه معاكس لما ذهبت إليه التّرجمات الأولى في روما فبينما كانت تلك التّرجمات تختزل النّص وتضيّقه وتحصره في مجال القارئ الهدف وتكيّفه على حسبه، تعمل"التّغريبيّة البرمانيّة " على الاتساع والشّمول والبحث عن نقاط تلتقي فيها اللّغات باعتبار وحدة المنشأ ووحدة الملجأ، فتسير اللّغات جميعا نحو تبني لغة مهيمنة واحدة تتحول إلى لغة عالميّة يتواصل النّاس جميعا بها. هذا الالتّقاء الذّي يسمح بالإطلالة على الثّقافات العالميّة، وتبنّيها شيئا فشيئا انطلاقا من اللّغة، والوصول إلى ما سماه فالتّر بنيامين "اللّغة الخالصّة" [4]، فمادام الخلق بدأ من أب واحد ولغة واحدة فإن العودة إلى هذه الحال الأولى هو المردّ والمآل، ولعلّ من المتوقع في عصرنا هذا في نظرة تبصريّة أنّ هذه اللّغة ستكون واحدة من اللّغات الأقوى حضورا في العالم كالإنجليزيّة مثلا.

بيد أنّ هذا الانفتاح اللّغوي لا يبدو في خلاصته آخذا بأيدينا نحو التّعايش اللّغوي والاحترام الثّقافي في وجود الحضارتين دون إفراطٍ أو تفريط، أو تماشٍ ومسايرةٍ متوازيّة بين اللّغات في ظلّ المثاقفة والتّفاعل الإيجابي، بل إنّه يبدو أقرب إلى الغلبة اللّغويّة فالثّقافيّة مع مرور الوقت، ذلك أنّ تعلّم اللّغات لا يعني تبنّيها مطلقا، لأنّ ذلك يقود إلى تبنّي الخصائص الاجتماعيّة والثّقافيّة لتلك اللّغات شيئا فشيئا، إذ مادامت اللّغة جزءا من الثّقافة فإنّ المتأثّر بهذه اللّغة لابدّ وأن يتأثّر بهذه الثّقافة، وعلى هذا الأساس فإن طمس معالم اللّغة هو طمس لمعالم الهويّة من عادات وتقاليد اجتماعيّة وعبادات واعتقادات دينيّة، وهذا الأمر حاصلٌ منطقا مادام التّمازج والتّفتّح الذّي أراده (برمان) قائما. ولعلّ هذا ما نعايشه الآن واقعا في مجتمعاتنا العربيّة الإسلاميّة، ذلك " أنّ عمليّة التّغريب التّي يعيشها عالمنا العربيّ قد تمكّنت من الإنسان العربيّ وجعلته غريبا عن تراثه وتاريخه الشّامخ، منفصلا عن جذوره، ولذا أصبح في حالة من الضّياع الثّقافي الكامل، غير قادر على اللّحاق بمتطلبات هذا العصر." [5]

ولعلّ مسألة المرجعيات العقديّة تمثّل أكبر مشكل يعتَورِ هذا التّمازج اللّغوي، إذ تعدّ الخصوصيات الدّينيّة من أكثر الأمور تعقيدا وحساسيّة ومساسا بالهويّة، حيث لا مسوّغ ولا جواز لاعتلالها، ولعلّ هذه النّقطة تجعلنا نعتقد بأن هذا الجانب من التّغريب التّرجميّ إنمّا يؤدّي إلى غزو اجتماعي خطير، مادام التّأثير يطال الجانب العقدي الذّي يشكلّ مصدرا هامّا في تشكيل قوانين الجماعة ودستورها، فهو المرجع الذّي تبنى عليه الأحكام العامّة والتّقاليد المجتمعاتيّة، فنحن " حينما نستخدم مفردات الحداثة الغربيّة ذات الدّلالات التّي ترتبط داخل الواقع الثّقافي والحضاري الخاص بها، تحدث فوضى داخليّة داخل واقعنا الثّقافي الحضاري." [6] هذه الفوضى التّي تنطلق من بلبلة اللّغة لتصل إلى بلبلة المبادئ الجوهريّة للمجتمع فتصيبه

بالخلل والشّطط دون شكّ، ممّا يجعل من لملمتها أمرا غير متاح.

3. تأصيل التّرجمة وأثره في توطين اللّغات

وفي الكفّة الأخرى من ميزان التّرجمة، يأتي مناصرو التّرجمة التّوطينيّة ممثّلين في رواد المقاربة السّوسيولسانيّة في التّرجمة، حيث يرى هؤلاء أنّ التّرجمة لا يمكن أن تكون أمينة للغة الأصل وعناصرها اللّسانيّة، بل للثقافة الهدف المستقبلة وجمهورها الذّي ينتظر منها إرضاء حاجاته وتوقعاته، وهي بذلك لن تكون إلاّ فعلا ثقافيا بامتياز مجبرا المترجم النّاقل على احترام خصوصيّة الشّعوب، فيصبح دمجها في العمل التّرجميّ، وأخذ طبيعتها وبنيتها الاجتماعيّة والثّقافيّة في الحسبان ضرورةً حتميّة، إذ من غير اللّائق إرغام هذه الثّقافات على استقبال غريب عنها، وتبنّي ما لا يمتّ إليها بصلة توجدها عناصر الطبيعة، لذلك اتّجهت هذه النّظريّة أكثر إلى عنصر المتلقّي، وأولته أهميّة قصوى، وجعلت التّرجمة خدمة لهذا الغرض ووسيلة لإسعاد المتلقي، وفي هذا الإطار كتب (اوجين نيدا) :"إنّ المقوّمات الثّقافيّة قد تكون أكثر أهميّة من الخصائص اللّسانيّة" [7]، فالتّرجمة التّوطينيّة إذن هي ترجمة تقريبيّة إلى الثّقافة المترجَم إليها، وهي إذ ذاك ترجمةٌ تتماشى ومتلقيها وأفق توقعاته ومصالحه الخاصّة، وهي بهذا الطرح تبتعد عن كونها عاملَ نفورٍ بالنّسبة إليه، بل على العكس من ذلك، فإنّها ستحشد الكثير من المستقبلين، وتقنع اعتقاداتهم، وترضي مطالبهم، كما لا تمسّ بمبادئهم وهويّتهم الثّقافيّة.

وإذا كانت اللّغة العربيّة وعاءً للثقافة المحليّة وتراثها الحضاريّ، فإنّ ترسيخ العناصر الثّقافيّة في الأعمال المترجمة إليها موضوع غير هيّنٍ، لا تكفي فيه عناصر الجهاز اللّغويّ عاريا من الجهاز السّوسيوثقافي للّغة، لأنّ التّرجمة بهذا الطرح عبور ثقافي [8]، ومن ثمّة فإنّ السّيّاق اللّغوي العابر إلى الثّقافة المستقبلة إنمّا يحمل في فحواه سياقا ثقافيا مشبّعا بخصائص اللّغة الأصل، فكان لزاما على المترجم إذ ذاك أن يتنبّه للسياق الثّقافي قبل اللّغوي، وإنّ هذا القول لا يطرح السّيّاق اللّغويّ هامشا، بل إنّه يقود إلى اعتبار الخصائص اللّسانيّة وما وراء اللّسانيّة في المنزلة نفسها، ممّا يزيد في محنة المترجم وصعوبة أداء مهمّته، ويرفع من سقف تحدّياته اللّغويّة والمعرفيّة في الآن ذاته.

ولئن كان توطين التّرجمة أمرا غير يسير المنال، فإن المبصِر لثوابه ومكسبه اللّغوي يهون عليه ذلك العناء، إذ يعمل توطين التّرجمة على توطين اللّغات الوطنيّة أيضا، فكلمّا زاد حجم التّرجمة إلى لغة ما زاد ذلك في انتسابها إلى اللّغات العالميّة، وتجدر الإشارة إلى أنّ عامل التّرجمة مأخوذ في الحسبان أكثر من عامل عدد النّاطقين باللّغة، وهو الحال مع اللّغة الإنجليزيّة مثلا، فإضافة إلى ازدياد أعداد النّاطقين بها وتداولها في العالم، نجد أنّ البيئة والثّقافة الإنجليزيّة أيضا ذاع صيتها موازاة مع ذلك

وارتفع مع ذلك عدد الأقسام التّي تُعنى باللّغة والأدب الإنجليزي في كبرى جامعات العالم [9] وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على أن توطين التّرجمة يُسهم أشدّ الإسهام في توطين اللّغة وتعزيز مكانتها محليّا ودوليّا، كما يؤثر ذلك على انتشار ثقافتها تأثيرا إيجابيّا يمنحها القوّة والاستمراريّة التّي تسعى إليها الحضارات قبل اللّغات.

كما أنّ توطين التّرجمة يقوّي روح الاعتزاز باللّغات الوطنيّة، ويعزّز من استعمالها وزيادة الدّراسات المشتغلة عليها، والبحث في تراثها اللّغويّ والتّاريخيّ ممّا يعيد إحياء ما تمّ تركه منها، وإعادة بعثه قصد مجاراة التّطوّر العلمي الحاصل، ذلك أنّ اللّغة كائن حيّ يستمرّ وينتعش بالاستعمال، ويركد وينجلي بالهجر والرّكون عن ترقيّته وتجديده بما تقتضيه الحاجة ويتطلّبه المقام، كما أنّ هذا التّوطين يؤدّي إلى جمع شمل اللّهجات المحليّة أو اللّغات الوطنيّة المتعددة التّي تعدّ أحيانا عاملا مرهقا في ترتيب الأولويات اللّغويّة والتّعبيريّة في البلاد العربيّة قاطبة، وإنّ النّاظر إلى حال اللّغة العربيّة في زمن العولمة هذا يصل إلى نتيجة مفادها أنّ" رأس هذه الحقيقة الالزّاميّة لكلّ دارسي الظاهرة اللّغويّة المتعدّدة هي أنها تحوطهم من كل لبس أو عارض مخلّ للحركة السّليمة أو انحراف عن الغايّة المنشودة بركوب جدليّة المحافظة على الهويّة والتّعامل مع الآخر بلباقة لا تضرّ بالأصل ومرونة تحمل الذّات على المحاورة والمجادلة بالحسنى مع الغير." [10] لذلك فإنّ الدّعوة إلى التّأسيس لترجمة عربيّة تأصيليّة توطينيّة بات موضوعا جادّا وحتميّا مادام الأمر منوطا بالهويّة والوجود.

4. التّرجمة التّأصيليّة: الأسس والآليات

ولئن خلصنا بالقول إلى حتميّة توطين التّرجمة قصد توطين اللّغات الوطنيّة، فإنّ هذا الأمر لا يكون خبط عشواء، وإنّما ينطلق بناءً على أسس علميّة وموضوعيّة هادفة تحتاج من أجل تحقيقها جهودا وحركيّة جادّة من قِبل الجميع لذلك فإنّ العمل على " تأصيل التّرجمة " في ظلّ العولمة القائمة، والتّي أضحت اللّغة العربيّة تعاني من جرّائها سواء فيما تعلّق بالاستعمال أم الانتشار أم التّطوّر، إذ صارت لغة متّهمة بالقصور ونقص الفعاليّة والوظيفيّة، وليس ذلك من الصّحّة في شيء، إذ مادامت هذه اللّغة لغة الذّكر الحكيم، فهي ستكون محفوظة مادام الذّكر محفوظا، فالعيب في الحقيقة لا يكمن في اللّغة وإنّما في العاملين عليها والمنتمين إليها، الذّين لا يبذلون من الجهد ما يكفي، ومن ثمّة فإنّه يمكن إدراج أسس للتأصيل التّرجمي العربي بغيّة توطين اللّغة العربيّة انطلاقا من بعض النّقاط التّي نراها جوهرا لهذا البحث.

إنّ أولّ ما يمكن البدء به ضمن مشروع التّأصيل، هو إدراك القيّم الوطنيّة والوعي بأهميتها، ذلك أن أي مشروع أو جهاز تنظيميّ لا يمكن أن يتشكّل إلاّ من الوعي بالمعطيات المتوفرة والمرجعيّات القائمة بشتّى أنواعها، إذ تقوم الدّولة

الجزائريّة على اعتبارات رمزيّة وطنيّة تتمثّل في الإسلام واللّغة العربيّة، ومن ثمّة فإنّ أيّ مشروع أو مخطّط للتوطين لا يكون إلّا وقد جُعِلت تلك الرّموز أرضيّة أساس ونقطة انطلاق له، أي أنّ توطين اللّغة العربيّة عليه أن يتمّ ضمن الأنساق الثّقافيّة التّي يتحرك خلالها الأفراد المنتمون إلى اللّغة المعنيّة، كمّا أن هذا الإدراك القيمي هو ما يسمح بتحديد الأهداف تحديدا لا يشوبه غموضه ممّا يجعل بلوغها أوضح سبيلا وأسرع استهدافا.

وباعتبار الهدف المنشود في هذا المقام هو تأصيل اللّغة العربيّة، فإنّ استراتيجيّة التّوطين تبدأ من تقويّة التّنشئة اللّغويّة و الاهتمام بتعليميّة اللّغة والرّقي بمستواها ومناهجها، خاصّة في خضم الواقع العالمي الحالي حيث الغلبة اللّسانيّة للأقوى تكنولوجيا واقتصاديا، ممّا يستوجب مناهج قويّة ومدروسة دراسة واعيّة ومسايرة لما يحتاجه النّشء، فلا هي تمحي أصالتّه ولا هي تنوء به عن المعاصرة، وإنّما تجعله متوافقا مع تلك دون المساس بالأخرى، ولعلّ ذلك ما تؤكده الدّكتورة (عائشة عهد حوري) بقولها:" وهكذا نجد أنّ اللّغة العربيّة اليوم تشهد تحديّات عربيّة وعالميّة في العصر الحالي من خصومها بسبب الظروف الرّاهنة التّي تحيط بها، من إطلاق دعوات إلى تهميشها أو تغيير سماتها، أو الانتقاص من وظيفيتها، هذه الظروف تفرض علينا إعادة حيويّة اللّغة العربيّة من جديد بأسلوب جذاب عن طريق تعليمها وظيفيا في ميادين العلم والمعرفة، وخلق ذائقة فنيّة لدى المتعلمين الصّغار للإقبال على تعلّم اللّغة العربيّة من خلال الإحساس بقيمتها وكنوزها الثّمينة بحيث يتمكّنون من استعمالها في المواقف اللّغويّة كافة." [11]

ولئن كان تعليم اللّغة العربيّة باعتبارها لغة وطنيّة، والعمل على تطويرها والنّهوض بمستواها التّداولي والأسلوبي أمرا شديد الأهميّة، فإنّ هذا لا يمنع من تعلّم اللّغات الأجنبيّة وإتقانها، لأن تعلّم هذه اللّغات يعدّ انفتاحا على ثقافات الشّعوب الأخرى، ومثلما للعربيّ أن يعتز بحضارته وتراثه، فإنّ تقبّل اعتزاز الآخرين بخصوصياتهم الثّقافيّة واللّغويّة أمر لا حرج فيه، بل على العكس من ذلك، إذ قلّما انعدمت صور التّثاقف الإيجابي وتبادل الخبرات والمنافع بين تلك الشّعوب، على أن يتمّ ذلك وفق مبدأ التّوازن والرّضا، فلا ضرر ولا ضرار، بل وقد يزيد تعلّم اللّغات الأجنبيّة الفردَ العربي اعتزازا بثراء اللّغة العربيّة وترفها المعجميّ والأسلوبيّ الذّي يجعل منها لغة تستحقّ التّعلّم والغوص في مباحثها.

ثمّ وبالانتقال إلى الحديث عن التّرجمة، فلعلّ أولّ ما يجب أن يُعنى به قبل الشّروع في الفعل التّرجميّ هو إعداد المترجمين وتكوينهم لغويا ومعرفيا، ذلك أنّ الممارسة التّرجميّة لا تعني معرفة بالمعجم اللّغوي للغتين، أو احترافيّة برصف الكلمات رصفا نحويا سليما، بل إنّ الأمر يتجاوز ذلك إلى كثير من الخبرة والإحاطة بالأنساق اللّغويّة والاجتماعيّة والثّقافيّة المتعلقة بالنّص والكاتب على حدّ السّواء، لذلك وفي خضم

النّظريات التّرجميّة التّي لا تزال تتصارع وتتعالق وتتواشج، فإنّ مهمّة المترجم لم ولن تكون سهلة المنال، بل إنّ هذا النّقل التّأصيلي المراد والمنتظَر منه تقريب التّرجمة إلى المتلقي العربي دونما أي أثر للترجمة لن يكون مبلغا يسيرا.

ولعلّ تكوين المترجمين ملزم بأن يصحبه أخلاقيّات للترجمة ومعرفة محيطة بكيفيّة تطويع تلك النّصوص المترجمة إلى احترام طبيعة القارئ العربي وعاداته وأعرافه، فلا تمسّ التّرجمة بخصوصياته الثّقافيّة لاسيما العقديّة منها والاجتماعيّة، هذا التّطويع من شأنه أن يمحو الغرابة القادمة مع النّصوص الأجنبيّة، ويمكن التّمثيل لهذه الخصوصيات بالتّطرّق إلى نقل العبارة الإنجليزيّة " to go to the bar to burry his sorrows " والتّي تكون ترجمتها بتبني استراتيجيّة التّغريب : "ذهب إلى الحانة ليدفن أحزانه" ففي هذه الحال لن يتقبل القارئ العربي المسلم عبارة كهذه لأنها تمسّ بخصوصياته العقديّة، ومن ثمّة يصير واجبا على المترجم تطويعها وتهذيبها بما يتماشى مع ما يستسيغه الجمهور المستهدف كأن يقول مثلا : " ذهب إلى الملهى كي يروّح عن نفسه أو كي ينسى حزنه" وكذلك عبارة " Hell knows " والتّي يوظّفها الإنجليزي للتعبير عن جهله بالشّيء، فترجمتها الحرفيّة البرمانيّة تجعلها :" الجحيم تعرف " غير أن القارئ العربي قد لا يفقه من المقصود شيئا لذلك كان أولى بالمترجم أن يستبدل العبارة ثقافيا، ويلجأ في هذه الحال مثلا إلى عبارة " اللّه أعلم " وهي عبارة قريبة إليه عقديا وثقافيا.

ولعل من أهمّ النّقاط المنتميّة إلى استراتيجيّة التّوطين، نجد الحاجة إلى بعث حركيّة التّرجمة إلى اللّغة العربيّة لما للترجمة من فضل في تزويد الدّارسين بشتى العلوم والمعارف التّي يتم بواسطة التّرجمة إيصالها باللّغة العربيّة مباشرة إلى المتلقي العربي، فيقلّل ذلك من جهده في البحث في المراجع الأعجميّة، ومحاولة ترجمة محتواه لاسيما إن كان الباحث غير متخصص في التّرجمة، فيؤدي ذلك الغلط في الفهم إلى نتائج بحثيّة مجانبة للصواب حتما، كما أنّ التّرجمة إلى العربيّة يعزّز من وظيفيتها واستعمالها لدى أولئك الدّارسين، فيرتقي المستوى التّداولي لها ارتقاء يسمح بالاشتغال بها وعليها اشتغالا يضمن سيرورتها وبقاءها.

وفي سياق الحديث عن التّرجمة العلميّة المتخصّصة، فإنّ الحديث عن اللّغة المتخصصة يفضي حتما إلى الحديث عن المصطلح العربي الذّي يعاني هو الآخر من مشكل التّغريب، والذّي أحدث فيه فوضى لغويّة ومفهوميّة أصابته بالشّطط منهجا واستعمالا، ويزداد الأمر سوءا حين يتعلق الأمر بتلك " المصطلحات الفكريّة والثّقافيّة لأنها تعبّر عن قسمات وسمات وملامح شخصيّة الأمة وميراثها الثّقافي، لذلك فإنّ محاولة الولوج إليها من خلال المصطلح تتجلى خطورتها فيما يمكن أن تحدثه من بلبلة فكريّة أو خلط في المفاهيم واهتزاز في الشّخصيّة واضطراب

في الثّقافة وتبديل في مفاهيم القيم الضّابطة لسير الأمة." [12] لذلك فإنّ تشجيع ترجمة المعاجم المتخصصة قصد التّأسيس لجهاز مصطلحيّ عربي وتأصيله أمر بالغ الأهميّة، لأنّ من شأنه توفير أرضيّة مصطلحيّة يستقي منها الباحثون مصطلحاتهم العربيّة باعتبارها عتبات مفهوميّة وأدوات إجرائيّة لا يمكن بتاتا الاستغناء عنها.

خاتمة:

مما سبق، نخلص إلى أنّ التّرجمة فعل حضاري ثقافي قبل أن يكون فعلا لسانيا، لذلك فإن ممارستها كانت ولا تزال حاجة لصيقة بكل الجماعات مادامت تشتغل على اللّغة الموسومة بأداة التّواصل، ومادام الاحتكاك اللّغوي قائما بين تلك الحضارات فإنّ التّرجمة تضل لصيقة منوطة بها وبذلك التّفاعل.

على أن هذا الفعل الحضاري قد يسلك سبيلين، فإمّا أن يكون فعلا تغريبيّا يبتغي عولمة اللّغات والانتصار للغة واحدة تستحوذ على اللّغات الباقيّة استحواذ الغالب المنتصر، فتلبسها لسانها وتكسوها ثقافتها وخصائصها على ما في هذا من طمس لهويّة كل تلك اللّغات تراثا وثقافة، وإمّا أن يكون فعلا تأصيليا يسعى بكل ما أوتي من عزم إلى توطين اللّغات المحليّة وإرساء معالم الثّقافة والتّراث، وبناء صرح حضاري تكون اللّغة الوطنيّة أحد رموزه.

ولئن كانت السّبيل الثّانيّة هي ما نرجوه من التّرجمة خدمة للغة العربيّة، فإن بناء ترجمة عربيّة تأصيليّة على ما تقتضيه من عمل شاق ومحاولات جادة لن يكون بالأمر العسير إن تظافرت الجهود وتحركت الجهات المعنيّة ضمن استراتيجيّة محددة تقف على منطلقات وأهداف بيّنة تروم التّأسيس لهذا النّوع من التّرجمات التّي تبتغي خدمة الوطن ورموزه غيرة عليه وحبّا فيه.

قائمة المراجع:

المؤلفات:

1. حمودة عبد العزيز، المرايا المحدبة، كتاب عالم المعرفة، 1998.

2. شبار سعيد، المصطلح خيار لغوي وسمة حضاريّة منشورات وزارة الأوقاف والشّؤون الإسلاميّة، قطر، ط1 .2000

3. كرامش كلير، اللّغة والثّقافة، ترجمة احمد الشّيمي، مراجعة عبد الودود عمراني، منشورات وزارة الثّقافة والفنون والتّراث، قطر، ط1، 2010.

4. مرحبا محمد عبد الرّحمان: قراءات وتحليلات في الفلسفة العربيّة الإسلاميّة، مؤسسة عز الدّين للطباعة والنّشر، بيروت، لبنان، ط1، 1995.

5. نهر هادي، اللّغة العربيّة وتحديات العولمة، عالم الكتب الحديث، الأردن، دط، 2010

6. BERMAN Antoine :La traduction et la lettre ou l'auberge du lointain,seuil,Paris,1999.

7. BENJAMIN (Walter): La tâche du traducteur, Gallimard, Paris, 2000.

8. NIDA (Eugene Albert), TABER (Charles): The Theory and Practice of Translation, EJ Brill, Leiden, 1969.

9. LADMIRAL Jean-René :Traduire théorèmes pour la traduction, Payot, Paris, 1979.

المقالات:

1. خلادي محمد الأمين و بوكميش لعلى، واقع استخدام اللّغة العربيّة في سوق العمل الجزائريّة محافظة أدرار أنموذجا، مقال منشور على الرّابط الإلكتروني الاتي :

http://www.alarabiahconference.org/uploads/conference_research- 726021083-1407750929-312.pdf

2. والي دادة عبد الحكيم، روافد التّرجمة العلميّة في الوطن العربي المصطلح العلمي انموذجا، مجلة التّعريب ع54، 2018

الهوامش:

[1] كرامش كلير: اللغة والثقافة، ترجمة احمد الشيمي، مراجعة عبد الودود عمراني، منشورات وزارة الثقافة والفنون والتراث، قطر ط1، 2010، ص15

[2] المرجع نفسه، ص117

[3] BERMAN Antoine :La traduction et la lettre ou l'auberge du lointain,seuil,Paris,1999,p 39

[4] BENJAMIN (Walter): La tâche du traducteur, Gallimard, Paris, 2000, p 245

[5] والي دادة عبد الحكيم، روافد الترجمة العلمية في الوطن العربي المصطلح العلمي انموذجا، مجلة التعريب، ع54، 2018، ص63

[6] حمودة عبد العزيز: المرايا المحدبة، كتاب عالم المعرفة، 1998 ص34

[7] NIDA (Eugene Albert), TABER (Charles): The Theory and Practice of Translation, EJ Brill, Leiden, 1969, p**30**

[8] Voir : LADMIRAL Jean-René :Traduire ,théorèmes pour la traduction, Payot, Paris, 1979, p13

[9] ينظر : مرحبا محمد عبد الرحمان: قراءات وتحليلات في الفلسفة العربية الإسلامية، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، لبنان ط1، 1995، ص 338

[10] خلادي محمد الأمين و بوكميش لعلى: واقع استخدام اللغة العربية في سوق العمل الجزائرية محافظة أدرار أنموذجا ، مقال منشور على الرابط الإلكتروني الاتي :

http://www.alarabiahconference.org/uploads/conference_research- 726021083-1407750929-312.pdf

تاريخ المعاينة : 20- 10- 2018

[11] نهر هادي: اللغة العربية وتحديات العولمة، عالم الكتب الحديث الأردن، دط، 2010، ص17

[12] شبار سعيد: المصطلح خيار لغوي وسمة حضارية، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط1، 2000، ص 30